

الضربة الأمريكية لقاعدة الشعيرات السورية: قراءة تحليلية في الابعاد والمخاطر

د. محمد وائل القيسي

11 ابریل/ نیسان 2017

Noon Association for Strategic Studies

info@nooncenter.org www.nooncenter.org لا جدال في أن الضربة الأمريكية التي تمثلت بإطلاق قرابة 60 صاروخ من نوع "توماهوك" ضد قاعدة الشعيرات الجوية في سوريا، وهي ذات القاعدة التي أنطلقت منها قوات جوية سورية لإسقاط أسلحلة كيميائية على مدينة خان شيخون في الاسبوع الماضي، مثلت الأفصاح الحقيقي عن الموقف الحازم للإدارة الأمريكية "دونالد ترامب" تجاه الأزمة السورية، لاسيما بعد استمرار الوضع في سوريا لأكثر من للإدارة الأمريكية "دونالد ترامب" تجاه الأزمة السورية، لاسيما بعد استمرار الوضع في الماساة التي أنتابت سكان المناطق التي رفعت شعار التغيير ضد النظام السوري الحالي.

ومن المهم جداً إثارة ثمة تساؤلات منطقية، منها، لما أقدم النظام السوري على إستخدام هذه الأسلحة في ظل وضع متقدم يشهده النظام ، سواءً بمراوغته للبقاء فترة أطول، أو بقاء رئيسه، أو حتى بالدعم الكبير الذي حضي به روسيا وايرانياً ؟ ولمصلحة من تم تسديد الضربة الأمريكية لقاء إقدام النظام السوري على فعلته هذه؟ هل فعلاً أنتقاماً للمدنيين؟ أم وضع حداً للموقف الروسي _الإيراني _السوري ؟

قد يكون إقدام النظام السوري على استخدام السلاح الكيميائي جزء من محاولات إستشعار رد الفعل الأمريكي تجاه الحرب في سوريا، وربما كجزء من مناورة كانت تبتغي توسيع خيارات الحرب بأتجاه إستخدام تحركات أكثر قسوة ضد المعارضة السورية إذا ما مرت ضربت الكيميائي بسلام دون رد فعل قوي يقيد الحركة ونطاق الفعل لدى قوات النظام السوري.

لعل من المنطقي جداً القول بأن الضربة الأمريكية كانت قد غيرت كثيراً من قواعد اللعبة بأتجاه إعطاء زخم أكثر للنفوذ الأمريكي، وتغيير قواعد الأشتباك هناك، وأرسال رسالة مهمة لكل من روسيا وإيران بأن إدارة دونالد ترامب هي ليست إدارة باراك اوباما تماماً، ذلك أن زمن القوة الناعمة Soft وإيران بأن إدارة دونالد ترامب هي ليست إدارة باراك اوباما تماماً، ذلك أن زمن القوة الناعمة power قد أنتهى، وأن عهداً جديداً تجسده القوة الأمريكية الحازمة Hard power في التعاطي مع قواعد النفوذ والمصالح والأهداف، والأدوار الجريئة الناتجة عنها قد بدأ بالفعل.

ثمة ابعاد إستراتيجية تقف وراء الضربة الأمريكية لقاعدة الشعيرات الجوية في سوريا، تتجاوز العطف الأمريكي على ضحايا السلاح الكيميائي في سوريا ، منها الأتى :

♣ إستغلال الفرص: مثل إستخدام النظام السوري للسلاح الكيميائي فرصة سانحة للولايات المتحدة لطالما أنتظرتها إدارة "دونالد ترامب" للإفصاح عن موقفها الحازم من الأزمة السورية أولاً، وإن القوة العسكرية الأمريكية حاضرة قبل جميع الخيارات الأخرى إذا ما تم الركون إلى أفعال لا ترتظيها واشنطن ثانياً، أو هي على حساب مصالحها وأهدافها بالبعد الجيوستراتيجي العالمي.

- ❖ تبدید أتهامات الدیمُقر اطبین لتر امب بالعلاقة الحمیمة مع بوتین وبالتواطؤ مع روسیا في الأنتخابات الرئاسیة ضد هیلاري کلینتون، وبذا فإن الضربة أنطوت في جانب منها على بعد استراتیجي في تبدید هذه الشکوك، وان بوتین لم یعد صدیقاً حمیماً لتر امب کما تصور البعض.
- ❖ رسالة لروسيا بإن محاولة إعادة نهوضها من جديد، والتطلع إلى دور عالمي جديد بدءاً من ضمها لشبه جزيرة القرم، ومروراً بتدخلها في أوكرانيا ، وأنتهاءاً بتواجدها العسكري في سوريا، محط رصد ومراقبة أمريكية، وأن هناك حدود معينة ينبغي التوقف عندها.
- إعادة رسم قواعد جديدة لخطوط المصالح والنفوذ والتحالفات داخل إطار الأزمة السورية في ظل إدراك جميع الأطراف أن الولايات المتحدة لن تسمح للطرف المقابل "النظام السوري" وحلفائه بالتمدد على حساب خيارات الأداء الاستراتيجي الأمريكي المنتقاة في التعامل مع الأزمات الحساسة
- ♣ أسلوب ذكي يضع إيران في أضيق خيارات المواجهة مع الإدارة الأمريكية، إدراكاً منها أن استهداف أدق قدرة قتالية " القوة الجوية" لحليف إستراتيجي، يعني ذلك أن كل الخيارات مطروحة في التعامل مع الداعم المؤيد للحليف، فضلاً عن إن ذلك لا يلغي أحتمالية ضرب أهداف أخرى تمثل نقاط مصالح مباشرة لأيران داخل الأراضي السورية، سواء المعدات العسكرية أو حتى بعض الفصائل الداعمة للنظام السوري.

ولعل الناحية الموضوعية تدفع بنا للقول ، أن الابعاد الإستراتيجية أعلاه، والتي شكلت دافعاً قوياً للأستهداف الامريكي لقاعدة الشعيرات، والتي دمرت 20 % من قدرات القوات الجوية للنظام السوري بحسب تصريخ البنتاغون الامريكي، فضلاً عن هز المنظومة العسكرية السورية بالكامل ، لا تلغي ثمة مخاطر ماثلة جسدتها الضربة الأمريكية هذه، يمكن تشخيصها بالأتي :

1- توتر كبير في العلاقات الروسية – الأمريكية، سينعكس حتماً على العلاقة بينهما في مواضيع مهمة تخص الأمن والسلم الدوليين، ذلك إنه على الرغم من إفصاح دوائر الإستخبارات الأمريكية عن حقيقة مهمة، هي إبلاغ كل من فرنسا وألمانيا بالضربة قبل حدوثها، وأن روسيا ذاتها علمت أو استشعرت الضربة قبل تنفيذها بطريقة أو أخرى نتيجة خلو القاعدة تماماً من أي قوات روسية أو طائرات روسية ، فإن هذا الأمر لا يلغي الموقف الروسي المنددة بالضربة والذي عدها بمثابة عدوان مباشر، داعياً مجلس الامن للأنعقاد بجلسة طارئة تمت بالفعل لقراءة ملابسات ونتائج الضربة. مُعلقة بذات الوقت العمل باتفاقية السلامة الجوية مع الولايات المتحدة فوق سوريا والتي

- من المحتمل أن تؤدي إلى اشتباك مباشر ما بين القوات الجوية لكلا البلدين نتيجة أخطاء مقصودة أو غير ذلك .
- 2- إعادة أصطفاف قوي ما بين القوى الاقليمية والدولية التي تقف ضد الازمة السورية الأمر الذي يعني المزيد من الحساسية في تحركات ومواقف الدول وردود الأفعال المضادة، وبالتالي تقليص المزيد من فرص السلام في المنطقة. لاسيما وأن كل من قطر والسعودية والأمارات العربية المتحدة والاردن وتركيا جاءت مؤيدة للضربة فضلاً عن قوى أوربية مثل فرنسا وألمانيا وبريطانيا وحتى النمسا، في ظل معارضة قوية جداً لكل من طهران وموسكو ، إلى درجة دفعت هذا المحور الى التصريح العلني بالرد على مصدر الضربات إذا ما تكررت في المرة القادمة.
- 3- إن إستمرار تأثر ترامب بالتيار العسكري الذي يمثله كل من "جيمس ماتيس وزير الدفاع الأمريكي و أتش أر ومكماستر مستشار الأمن القومي الامريكي" المؤيد إلى أستخدام القوة لأظهار الحزم في المواقف الأمريكية، يعني إستمرار أحتمالية مشاهدة ضربات أخرى لأهداف أخرى داخل الأراضي السورية إذا ما تعرضت مصالح واشنطن ونفوذها هناك للتجاوز، بحسب مُدركات الإدارة الأمريكية في تحديد نوعية وماهية خطوط مصالحها الاستراتيجية هناك. في ظل ادراك حقيقة مهمة في هذا الشأن، تتمثل في أن الضربة الأمريكية لم تكن خارج نطاق التوقعات خصوصاً في ظل إتساع رقعة النفوذ الروسي هناك، ومحاولته التوسع على حساب الوجود الأمريكي في الشرق الأوسط.
- 4- ليس بالضرورة القول بأن روسيا ستتجاهل الأمر بمرور الوقت ، أو أن الرد الروسي سيكون على حساب تعميق التحالف مع ايران وتوسيع خيارات المواجهة مع الغرب الأمريكي، لأن مثل هكذا خيار سينهك الاقتصاد الروسي لا محال، على أن لا يعني ذلك بذات الوقت تقييد قدرة روسيا الأتحادية عن الرد، أو ضيق خيارات ردة الفعل الروسي تجاه الضربة الأمريكية بشكل خاص ، والأزمة السورية بشكل عام ، إذ ربما سنشهد في الأيام المقبلة زيادة في عديد القوات الروسية في سوريا، وإتساع رقعة القواعد الروسية هناك، أو حتى تزويد النظام السوري بمنظومات دفاعية متطورة.

يبقى السؤال المفتوح والمهم قدر تعلق الامر بالعراق هو، هل ستلجأ موسكو وطهران ألى ضرب مصالح أمريكية في العراق وسوريا كرد فعل للضربة الأمريكية لقاعدة الشعيرات السورية؟ وما مدى ردة الفعل هذه؟ وما هو الوقت المناسب لتسديدها؟ يبقى الزمن المفتوح والمعطيات القريبة اللاحقة خير من يجسد إجابة حقيقية لهذه التساؤلات.